سَـــيّدات بيت النُّبـــوَّة

رَضِيَ ٱللهُ عَنْـــهن

Library (SOAS)

الدكتورة عائشة عبد الرحمٰن
بنت الشـاطئ
أستاذ التفسير والدِّراسَات العليَا
كلية الشـريعة بجَامعـة القَرويّـين ـ المغرب

طبعة جديدة محـررة
مع إضافات علمية للتوثيق والتمحيص

دار الريان للتراث

الطبعـة الأولـى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

جميع الحقوق محفوظة

يطلب من

دار الريان للتراث

الادارة : ٣٥٠ شارع الأهرام - الجيزة تليفون / ٨٥٤٦٨٧ - ٨٥٢٠١١

القاهـــــرة : ١٧٧ شارع الأهرام - تليفون - ٥٣٦٥٩٩
معرض ٨ بجراج الأوبرا
٤٣ أ شارع رمسيس
١ شارع البورصة من شارع قصر النيل تليفون / ٧٧٧٥٩١
١ شارع أحمد سعيد - بالعباسية .
ميدان أحمد عرابى - سفنكس - المهندسين .

مصر الجديدة : ٢٢ شارع الأندلس - خلف المريلاند - تليفون / ٢٥٨٢٠١٤

الاسكندريـــة : سيدى بشر - طريق الكورنيش - برج رامادا (الدور الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيم

بسم الله ، والحمدُ لله ، والصلاة والسلام على المصطفى خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللـــهمَّ يَسِّـــرْ وأعِـــنْ

هـذه الطبعـة ،

ليست من قبيل الإعادة لطبعات سابقة من تراجمى لسيدات بيت النبوة رضى الله عنهن ، بل تجديد لها وتمحيص وتنقيح وتهذيب إذ توالت طبعاتها فى بيروت ، فى سفر جامع لأجزائه الخمسة المتفرقة فى طبعات أولى لدار الهلال ثم دار المعارف بالقاهرة ، وقد عزَّ علىَّ ، والكتاب يطبع فى بيروت ، أن تَوقَّفَ عن النمو والتمحيص . و لم يُتح لى أن أراجع تجاربه المطبعية ، رغم إلحاحى على ضرورة هذه المراجعة ، لأستدرك فواتا وأضيف إلى مادته جديدا مما وقفت عليه فيما أتابع من دراسات إسلامية .

فكان أن عكفت على إعداد هذه الطبعة الجديدة ، بما استدركت على سابقاتها من أخطاء وأوهام وفوات ، وما وثَّقتُ من مرويات وأخبار جاءت مرسَلة ، وما أضفتُ إلى مصادرى من أصولٍ لم تكن مُيَسَّرة لى من قبل .

* * *

والسيدات المترجم لهن فى هذه الطبعة ، هن اللواتى سبق أن ترجمت لهن فى خمسة أجزاء مستقلة :

الأول : كتاب « أم النبى » عليه الصلاة والسلام . وهو كتاب غير مسبوق بآخر فى موضوعه ، فى المكتبة العربية والإسلامية . وقد صحبتها فى : بيئتها وميراثها ، ونشأتها بمكة فى جوار البيت العتيق ، وزواجها من « عبد الله بن

عبد المطلب » زين الشباب الهاشمى ، وحملها ، وترملها ، ووفاتها ، وأمومتها الخالدة لسيد البشر الذى نراه فى هذه الدراسة لأمه : ابنًا بارًا ، يضع الجنة تحت أقدام الأمهات .

الثانى : كتاب « نساء النبى » ﷺ ، ترجمتُ فيه لأمهات المؤمنين رضى الله عنهن ، بما يجلو ملامح شخصياتهن ، وحياتهن فى البيت الكريم ، سكن المصطفى ﷺ ، وملاذه ومأواه .

بقدر ما اجتليت فيه شخصيته عليه الصلاة والسلام ، زوجًا قدوة وبشرا رسولا .

الكتاب الثالث : « بنات النبى » ﷺ : فى بيتهن الأول ، ثم فى الحياة الزوجية لكل منهن ، ومن خلال هذا العرض الدقيق لسيرتهن وشخصياتهن ، تجلت شخصية المصطفى عليه الصلاة والسلام ، مثلا أعلى فى أبوته لبنات أربع ، وُلِدْنَ جميعا قبل المبعث ، فى بيئة فُتِنتْ بالبنين .

وبهذه الكتب الثلاثة ، كان لى حظ التدبر والدرس لهذا الجانب من سيرته ﷺ : ابنًا بارا وزوجا قدوة وأبًا رسولا .

ثم تابعتُ ميراثه الطيب فى :

الكتاب الرابع : « السيدة زينب عقيلة بنى هاشم » بنت الإمام على كرم الله وجهه ، من أمِّ أبيها الزهراء رضى الله عنها . فصحبتُها فى حياتها الحافلة ، من مهدها فى البيت النبوى ، وزواجها من « عبد الله بن جعفر الطيار » رضى الله عنهما ، ومع أبيها الإمام على كرم الله وجهه ، فى مشاهده وبلائه بالفتنة الكبرى.. ثم مع أخيها الإمام الحسين رضى الله عنه ، فى رحلة الموت إلى كربلاء ، ومشهدها مصرعه ومصارع آلها ، آل النبى ﷺ ، على الساحة المشئومة ، ثم فى موكب الأسرى والسبايا من بنات النبى ، وموقفها المشهود الذى أرَّق ضمير أمته إلى اليوم .

والكتاب الخامس : « السيدة سكينة بنت الإمام الحسين » ، رضى الله عنهما صحبتها فيه ، من طفولتها فى بيت أبيها الإمام ، وفى دوامة الأحداث الشرسة التى

بلغت ذروتها الفاجعة يوم الطف . ثم فى حياتها الزوجية والاجتماعية ، أدية ناقدة . وهى الحياة التى راجت فيها مقولات خاطئة ضالة ، لم تصح فى منطق ولا فى تاريخ .

* * *

عسى أن تكون هذه الطبعة الجديدة لترجم سيدات بيت النبوة ، رضى الله عنهن ، أقرب إلى ما أرجو من تمحيص وإتقان .

والله سبحانه من وراء القصد ﴿ **وهو يهدى السبيل** ﴾ .

صدق الله العظيم

مصر الجديدة
١٤٠٧ هـ
١٩٨٧ م

فى هذا المجلّد الجامع

الكِتَابُ الأول : أمّ النَّبىّ ، عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام

الكِتابُ الثانى : نسَاءُ النَّبىّ ، عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام

الكِتابُ الثالث : بناتُ النَّبىّ ، عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام

الكِتابُ الرابع : السيّدة زينب ، عَقيلة بنى هَاشِم
رَضىَ الله عَنهَا

الكِتابُ الخامِس: السيّدة سكينة ، بنت الإمام الحسَين
رَضىَ الله عَنهمَا

الكتـــابُ الأول

أُمُّ النَّـــبيِّ

(عليهِ الصَّلاة والسَّلام)

« إنما أنا ابن امرأة من قُرَيْشٍ تأكل القديد »

محمد ، رسول الله

صلى الله عليه وسلم

منـــــاجاة

أماه « آمنة » . . .

ما تلوتُ من وحى السماء إلى وحيدك الحبيب ، آية بشريَّته :

﴿ إنما أنا بشرٌ مثلكم . . . ﴾ ،

﴿ قُلْ سبحان ربى ، هل كنتُ إلا بشرًا رسولا ﴾ ،

إلا ذكرتُ أن نبينا ، المصطفى ، ﷺ ، هو الإنسان الذى حملتِه جنينًا فى رَحِمِك ، ووضعتِهِ كما تضع كل أنثى من البشر . . .

ولا تدبرت معنى قوله تعالى لابنك الخالد :

﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً ﴾ ،

إلا تنبهت إلى أن لهؤلاء القادة الرسل أمهاتٍ ، وأن المرأة التى أنجبت البطل فى كل صورة ، وفى كل حين ، هى التى وضعت الرسل عليهم السلام ، من « نوح » إلى « عيسى بن مريم » و « محمد » المصطفى الهاشمى ، خاتم النبيين عليهم السلام .

وهذا صوت وحيدك يملأ سمع الزمان على مر الآباد :

« إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد » فيحقر كبرياء الأباطرة والملوك ، ويسمو بأمومتك إلى أفق لا يتطاول إليه ترف الغنى ولا شموخ الجاه ، إذ يجعل منك أيتها الأنثى الوديعة المتواضعة ، والأم الطيبة الرءوم ، مبعث أنسه ، وروح إنسانيته ، وآية محبته ، وموضع إجلاله واعتزازه .

* * *

أماه « آمنة » . . .

هو أبدًا عِزُّ الأمومة الذى خلَّد واهباتِ الحياة على الدهر ، وصانعات التاريخ

منذ الأزل وإلى الأبد ، وقد أكد وحيُك العزيز الأمومة فيك ، حين قال :

« الجنَّة تحت أقدام الأمهات » .

وهو أبدًا فخر الأنوثة التى حَمَت سرَّ الوجود فى هذا الكون ، وحفظت حياة الإنسانية فى هذه الدنيا ، وحملت أجنَّة البشرية وهنًا على وهن ، فأى شعور غامر كان يملأ قلب ولدك ، حين قال لمن سأله عن أحق الناس بإكرامه : « أمك . . . ثم أمك . . . ثم أمك ، ثم . . . أبوك » ؟ ! وحين جاءه أحد أصحابه يبتغى أن يخرج مجاهدًا معه ابتغاء وجه الله واليوم الآخر ، فلما عرف ولدك ﷺ أن أمه حية ، قال له : ويحك ! الزم رِجْلَها فَثَمَّ الجنة ! . .

* * *

أماه « آمنة » . . .

عن مجد الأمومة فيك وعزة الأنوثة ، أتحدث اليوم عن سيدة الأمهات التى مَنَّ الله عليها بوليد وحيد ، حملت الملايين رايته فى أرجاء الأرض على مرِّ الزمن . . . .

يتيم ، اعتز به الآباء الصِيد والأصولُ الأمجاد . . .

فقير ، حَييتْ باسمة الدُّنَى وفاضت الخيرات .

وماذا كنت تبلغين من ذلك يا أماه ، لو أنكِ كنت ملكة متوجة ، أو فارسة بطلة ، أو عالمة حجة ، أو زعيمة قائدة ، ولم تلدى « محمداً : رسول الله » ﷺ ؟

وأى عمل لك يا أماه أجل وأمجد ، من أنكِ كنت المنجبة لهذا القائد المصطفى ؟ وهأنذى أقف خاشعة أمام سيرتك ، وقد حفَّت بها من أمومتك أضواء باهرة السنا ، فيكاد جلالك يثنينى عن إطالة النظر إليك ، والحديث عنك ، لولا أن أعود فأذكر أنك أم « محمد » الذى أعَزَّ البشرية بآيته العظمى : ﴿ **قلْ سبحان ربى هل كنت إلا بشرًا رسولا** ﴾ ؟

المبحث الأول

سَـــيّدة الأمّـــهات

ـــ هَذهِ السّيرة ومصَادِرُها .

ـــ أنوثَـــــة وأمومَـــــة .

ـــ أُمـــهَات الأنـــبيَـــاء .
عَلَيهم السـلام

هذه السّـــيرة ومصـــادرها

بدأت هذه المحاولة فى درس سيرة السيدة « آمنة » وأنا أعى أتم الوعى ، نقصَ المصادر والمرويات عن تلك الأم المنجبة ، لكنى قدَّرتُ أنى إنما أُحدث عن والدة الرسول العظيم ، وأم المصطفى الذى هو فى حساب الحياة صفوة جنسه وخلاصة نوعه ، ومن ثَم مضيت ألتمس ملامحها ، فى صورة ابنها العظيم الذى حملته رَحِمُها ، وغذاه دمها ، واتصلت حياته بحياتها ، فلقد كان « محمد » هو الأثر الجليل الذى خلفته « آمنة » ، فليس بعجيب أن أراها فى ضوء هذا الأثر ، وأن يكون فهمى لها يجلوه تدبرى سيرةَ ولدها العظيم .

فهذا الحديث عن « آمنة بنت وهب » يتخذ من شخصية ابنها مصدرًا هامًا نستعين به على فهم شخصيتها ، وذلك بما تركتْ فيه من أثر واضح ، وما نقلت إليه من دماء قومها الكرام الذين تنقل فى أصلابهم جيلاً بعد جيل ، وما حملتْه إليه من خصائص الأُرومات الأولى التى اعتز بالانتساب إليها فى مثل قوله عليه الصلاة والسلام ، إن الله اختاره من كنانة ، واختار كنانة من قريش ، واختار قريشًا من العرب ، فهو خيار من خيار من خيار .

أو قوله :

« أنا ابن العواتك من سُلَيم »[1]

* * *

ثم كان إلى جانب هذا المصدر ، ما وعى التاريخ من أخبار آباء « آمنة » وأجدادها نساء ورجالاً ، وما حفظ لنا من طابع البيئة التى نشأت فيها ،

(١) المحبَّر لابن حبيب : العواتك اللواتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم / ص ٤٧ .

وما عرفت الحياة من صورة الأنوثة والأمومة عند قومها ، وما اطمأن إليه العلم من ترابط الأسباب وتناسق الأصول ومجرى الوراثة ، وفى هذا كله ما يجلو شخصية « آمنة » كما عرفتها دنياها ، وصنعتها بيئتها ووراثتها وظروفها . . .

ذلك أن « آمنة » عطاء بيئة ووراثة ، قد جرت فى عروقها دماء الأصول الأولى ، ونمتْها العوامل التى تركت طابعها الخاص فى كل ما أحاط بها من ظروف الزمان والمكان .

من ثمَّ ، يستطيع الدارس المحقق أن يلتمس جذورها الأصيلة الممتدة فى أعماق منبتها وأعراق آلها ، وأن يستبين ملامحها وسجاياها فى الهواء الذى تنفسته والجو الذى عاشت فيه ، فإذا لديه تفسير مقبول لأكثر ما حسبه بعض الناس خوارق مباغتة تلوّن شخصيتها بما يجعل ولدها كائنًا عجيبًا لم ينْمِه عرق ، ولا غذّته وراثة ، ولا نهضت به بيئة . . .

* * *

على أنى حين مضيت فى تتبع الأصول البعيدة لآمنة ، ولمح المعالم الواضحة لدنياها ، ألفيتُ إلى جانب ما يطمئن إليه العلم من مجرى الوراثة وفعل البيئة ، حشدًا من آثار أخرى ليست من ذاك الصنف الأول ولا هى من واديه . . . آثار يحرص كثير من الدارسين على تجاهلها ، إذ يرون فيها طابع الخيال وظلَّ الوضع . وفاتهم أن ينتبهوا إلى دلالتها الاجتماعية التى لا تكذب ، والتى تمد الدارس بأضواء تكشف عما وراء التاريخ المادى من عالم نفسى ، وتُكمل ما تتركه الأخبار من ثغرات فى فهم طبيعة المجتمع .

تلك الآثار ، هى ما خلفه لنا قوم رأوا فى السيدة « آمنة » صورة الكمال المطلق لأم نبىٍّ ، فتحدثوا عنها بوحى من قلوبهم الصافية ، ودافع من وجدانهم المؤمن ، ما كذبوا فى ذلك ، ولا خدعوا ولا زيفوا ...

ولغيرهم من أهل التحقيق أن يقولوا ما يأذن به الدرس المنهجى الصارم ، وراء دنيا الوجدان ، وبعيدًا عن عالم القلوب ، ودون أفق الحب والإيمان .